أسماء بحر

آسيا

١

كانت هذه الليلة الأولى التي يلتقيان فيها في غرفة نومهما بعد إتمام زواجهما، وكانت تميل على كتفيه في استرخاء وشفتاها تهمسان..

فقالت: دعني أحكي لك شيئا عني زمان، ولا تقل لي مثل كل مرة إنك لا تهتم بماضيّ بقدر ما تهتم بمستقبلنا.. فإني أعرف جيدًا أنك تثق بي، ولكني أريدك أن تعرف كيف كان حالي قبل أن أرى فيك أحلامي التي تحققت بالفعل.. فتبسم ضاحكًا وطبطب عليها وقال:

- إذن فإني أريد أن أسمعك الآن وكلي آذان مصغية.

أتدري أن أبي توفي وأنا في العاشرة من العمر؟ كان هو الوحيد مصدر الأمان والحنان بالنسبة لي رغم وجود أمي.. فأمي كنت تحبني وتخاف عليّ مثل أي أم تخاف على ابنتها الوحيدة، لكن حبها كان يتلخص في الأعمال المنزلية فقط مثل الطهو لما أشتهي وتنظيف البيت.. إحقاقًا للحق كانت دائمًا لا تحب أن تتعبني بمثل هذه الأشياء.. ومع ذلك كنت أنزعج كثيرًا من هذه التصرفات.. لأني كنت أفضل أن تحتويني بحنوها، وليس فقط في كونها لا تريد أن تتعبني في تلك الأعمال..

أنا لا أتذكر متى آخر مرة قالت لي إنها تُحبنِي..أنا لا أتذكر من الأساس أنها قالت لي هذه الكلمة في يوم ما.. بينما أبي كان رجلاً عطوفًا حنونًا يعرف متى يظهر لي حبه بالكلمات المليئة بالحنان ومتى يظهر حبه بأفعال القوة والسند.. وبعد ذلك شعرتُ بفراغ

رهيب ووحدة قاسية.. فكنتُ دائمًا أبحث عن حنان أبي في كل من كان حولي وكأني أبحث عن شربة ماء في صحراء جرداء، ولا أحد يعلم أوجاع الفتاة التي تشتاق لأبيها ولاتجده.

فكنت أحدّثُ نفسي مرارًا وتكرارًا أن حتما زوج المستقبل هو الذي سيعوضني عن أبي..

وسوف يكون لي الأب والأخ وكل شيء.. وكان كلّما تسألني صديقاتي عن مواصفات الرجل الذي تتمنين أن تكملي معه بقية حياتك؟ أقول بكل تلقائية إنه لابد أن يكون شخصًا لبقًا في حديثه ورومانسيًا.. أو حتى يكون مر بتجارب عاطفية كثيرة!!

لكي يكون متمكنًا في الحب يدللني ويجعلني أحبه بجنون.. ربما تكون تلك المواصفات وحدها لا تكفي لبنات أخرى ولكنها كانت تكفي تمامًا بالنسبة لي.. كنت أريد شخصًا يُكمل النواقص في حياتي فقط.

ومع مر السنين تقدم لي شاب كان يسكن بجواري في الثلاثينات من العمر بينما أنا وقتها كنت في الخامسة عشرة.. كنت أعرف جيدًا أنهُ مر بمغامرات وتجارب مع بنات كثيرة، ومع ذلك لم يختر منهن من يتزوجها، فتعجبت لأنهُ فيه بعض الصفات التي كنت أتمناها..

لمّا سألته لماذا أنا دون غيري تريد الزواج مني؟ قال بكل وضوح: إنه لم يجد من قبل فتاة مثلي تجمع بين الصفتين الجمال والاحترام، وأني كالجوهرة التي لم يتم اكتشافها من قبل.. وحكى لي بالتفاصيل عن كل علاقاته السابقة، وقال لي إنه إذا ما وافقت على الارتباط

به فسوف أكون آخر من يدخل قلبه وعقله.. أعجبت كثيرًا بكلماته ووافقت بدون تردد رغم أن الجميع كانوا معارضين بسبب فارق السن وفرق الطبَاع بيني وبينه، فبذلت جهدًا كبيرًا في أن أقنعهم، واستمتعت بضعة أيام بين استقبالي للتهاني من صديقاتي وبين اهتمامه وحبه الشديدين لي.

وقضينا وقتًا رائعًا معًا وعشنا إثارة وتناغمًا لم يسبق لي أن تخيلتهما معًا، اخترعنا لغة خاصة بنا، ذهبنا في رحلات منوعة وخططنا للرحلات التي سنقوم بها معًا حول العالم، وأشياء كثيرة .. لكن مع مرور الشهور تغير وتمرد وتكبّر وتحول إلى شخص قاسٍ بمعنى الكلمة، شخص ينتقد كل تصرفاتي لكي يقلل ثقتي بنفسي، ورغم ذلك كنت أتشبثُ به مثل الطفلة التائهة.. تحول أيضًا لشخص يريدني أن أعتاد على طباعه العجيبة، يربيني من جديد كأني قطعة العجين يريد أن يشكلها كيفما يشاء.. كنت أحيانًا أشعر بالملل من هذه التصرفات وأحاول أن أبتعد عنه شيئا فشيئا فيعود هو بكلامه المعسول فأفرح كثيرًا وأنسى كل ما مضى كالعمياء.. ومع قرب موعد الزواج اعترف لي أنه يحن إلى الماضي وأن امرأة واحدة لاتكفي.. وأنه أصبح يشعر بالضجر من فكرة الزواج.. وليس لديه القدرة على أن يتخلص من تلك النزوات.. وتخلى عني وسافر إلى بلد بعيد.. فأدركت أنه كان عبدًا لشهوته ورغباته.. وأدركت أيضًا أن زمن الحنين انتهى ومات الكلام الجميل.

٢

بكت الأم بكاء شديدًا وقالت:

- هاهي "آسيا" يادكتور أصبحت تَخلُق أشخاصًا من الخيال وتتحدث معهم كل ليلة وتحكي لهم عن تجربتها القاسية مع ذلك الشاب الذي استغل سذاجتها واحتياجها للحب وأنجبت منه هذه الطفلة التي بين ذراعيها الآن وهرب هو خارج البلد.

قاطعها الدكتور بقوة:

- الحب ياسيدتي كان ينبغي أن يبدأ من البيت أولا..

فقالت الأم بتعجب:

- فأنا أحبها حبًا شديدًا، هي لم تجد من يحبها مثلي..

قال الدكتور:

- أثق تمامًا أنك تحبينها بحق، ولكن أعتقد أنك فشلتِ في التعبير عن حبك لها بلغتها الأساسية.

- ماذا تقصد بلغات الحب؟

- كما يوجد لغات مختلفة بين الشعوب يوجد أيضًا اختلاف في لغات الحب، بمعنى أن لغة الحب الخاصة بك يمكن أن تكون مختلفة تمامًا عن لغة الحب لدى ابنتك..

فالنتيجة التي توصلت إليها الدراسات أن "هناك خمس لغات للحب" خمس طرق يستطيع الأشخاص أن يعبروا عن حبهم بالطريقة المثلى لدى كل شخص.. فمن الواضح أن لغة حب ابنتك هي "الاتصال البدني مثل العناق والاحتواء وكلمات التشجيع، وهو الاعتراف بحبك لها بطريقة مباشرة وببعض الكلمات الرقيقة الإيجابية" بينما كانت لغتك الأعمال المنزلية التي كنت من خلالها تحاولين أن تعبري عن حبك لها، فهذه الطريقة كانت مناسبة لديك أنتِ فقط وليست لديها، وكأنك كنت تزرعين في أرض خاوية، فبالتالي أصبح منذ توفي أبوها خزان الحب لديها فارغًا لفترة طويلة، فقررت أن تبحث عن الحب في أماكن خاطئة ومع شخص غير مناسب..